اتجاهات البنيوية

أ- البنيوية الصورية

انبثق عن البنيوية اتجاهات وتيارات بنيوية كثيرة، كالبنيوية الشكلانية، والبنيوية التكوينية ، والبنيوية الانثروبولوجية ، والنبيوية اللسانية، وغيرها من الاتجاهات التي ساهمت في رسم معالم فلسفية تزخر بالمعطى الشكلاني البنيوي، ولعل من بين أشهر البنيويات التي لقت رواجا في الدرس النقدي نجد البنيوية الصورية والبنيوية التكوينية.

١- البنيوية الشكلانية (الصورية):

إن المدرسة الشكلانية ركزت في دراسة البنية بوصفها نظاماً مكتفياً بذاته، ومتخذة من النموذج اللغوي نموذجاً مطلقاً وصالحاً للتعميم على سائر الأنشطة والمعارف، وقد تأسست ممارستها النقدية في الأدب مع رولان بارت، تودوروف، وجيرار جينيت ، ورومان ياكبسون، وهؤلاء نهضوا بتطوير مشروع النقد البنيوي الصوري .

لقد صرح الشكلانيون بأنه يجب أن يكون للأدب موضوعه الخاص ولا يخضع للدراسات الخارجية، وقد حدد ياكبسون بشكل دقيق موضوع علم الأدب بقوله ،موضوع علم الأدب ليس هو الأدب، ولكن هو الأدبية أي ما يجعل العمل الأدبي أدبيا. فالباحث الأدبي يجب أن يهتم فقط بالبحث داخل المميزات العامة للمواد الأدبية، إذ أن الدراسة الصورية إذا هي تلك الدراسة التي تقوم بوصف العلاقات بين وحدات لسان معطى تخص وحدات في مستويات عدة: الملامح التمييزية، الفونيمات، المورفيمات، الألفاظ، الجمل ..فالنماذج الداخلية هي التي تعتمد على مشاهدة المنتَجات اللغوية في ذاتها، دون التعرض إلى تعيين أو تفسير الشروط المادية أو البيولوجية أو الاجتماعية أو غيرها التي ساهمت في ظهورها. لا يتعلق الأمر بدراسة "كيف" و"لماذا" ينتج حديثٌ ما، ولكن بتفسير "بم" و"كيف" يتشكل ذلك الحديث؟ في هذا النوع من النماذج، يمثل مفهوم الاستحسان دورا كبيرا، لكن هذا المفهوم لا ينتمي إلى النموذج.

يبدو أن أفضل منطلق لفهم البنيوية الشكلية يكمن في التصور السوسوري لمستوى اللغة- مستوى التعبير ومستوى المحتوى- باعتبار وجود المعنى مشروطا بوجود التعبير، وأن البنية الدلالية نوع من التوليف والتنظيم، وافتراض التوازي بين التعبير والمحتوى، ثم تقديم فكرة تقريبية عن نمط وجود الدلالة وتمفصلها. وأضحت فكرة البنيويِّين أنَّ (اللُّغَةَ نظامٌ تواصلي ينبغي على الباحثين أن يفحصوا بُنيَتَهُ) مِن المسلَّمات التي لا يمكن للِّسَانِيِّ أن يتَجَاوَزَها.

ثانيا: مرتكزات البنيوية الصورية

أ- موت المؤلف:

لقد كان الهدفُ من الدرسِ اللساني هو التعامل مع النص الأدبي من الداخل وتجاوز الخارج المرجعي واعتباره نسقًا لُغويًا في سكونهِ وثباتهِ، وقد حقق هذا المنهج نجاحه في الساحتين اللسانية والأدبية حينما انكب عليه الدارسون بلهفة كبيرة للتسلح به واستعماله منهجًا وتصورًا في التعامل مع الظواهر الأدبية والنصية واللغوية، البنيوية تقوم على التفكيك والتركيب، وتركز على النص في انغلاقه النسقي، وبهذا أعلنت البنيوية موت المؤلف والمرجع، وأطاحت بمكانته في التحليل. وهكذا أقصت البنيوية بصفة عامة الإنسان والتاريخ باسم البنية، والنظام، واللغة، والنسق، والعلامات. وقد أثبت الأنثروبولوجيون أن الحكاية في المجتمعات الإثنوغرافية لا يتكفل شخص بعينه بنقلها، بل يوجد رواة جماعيون.

وتعتبر الشكلانية الروسية السباقة إلى إقصاء المؤلف وعزله، والبحث عن النظام والبنيات الثانوية وراء الاختلاف فوق السطح النصي. ومن أهم أسس هذه الشكلانية الإنشائية أنها أدت باستقلال علم الأدب عن العلوم الإنسانية الأخرى؛ لأن شعرية النص بعيدة في نظرها " كل البعد عن أن تحتل الدور فيها المباحث النفسية والاجتماعية وغيرها مما له علاقة بالمؤلف المبدع والقارئ المتلقي. وهكذا طردت الشكلانية من عالمها النقدي ومنهجها التحليلي المؤلف. فللقبض على شعرية النص لا مجال للاعتماد على حياة المؤلف ونفسيته وصدقه أو كذبه وإلهامه، ولا لدراسة بيئته وجنسه، ولا للذاتية وأحكام القيمة، ولا لتقمص الناقد بأحكامه المعيارية تحسينًا أو تقبيحًا دور شخصية الرقيب وصاحب السلطة الجمالية المتحكمة في المبدع والمتلقي، لأن نقدًا من هذا القبيل لا يمكنه أن يحلّ محل تحليل علمي موضوعي لفن اللغة ووصفها.

وقد أعدمت اللسانيات والبنيوية المؤلف عندما ركزت على الدال والمدلول وأقصت المرجع وكل ما هو مادي خارجي عن المعطى اللغوي. وقد مكنت عملية تقويض المؤلف من أداة تحليلية ثمينة، وذلك عندما بينت أن عملية القول وإصدار العبارات عملية فارغة في محمولها، وأنها يمكن أن تؤدي دورها على أكمل وجه.

ويعد رولان بارت من النقاد الذين أعلنوا إفلاس المؤلف، وخاض صراعًا ضد ريمون بيكار في كتابه (النقد والحقيقة) مدافعًا عن النقد الجديد الذي لا يؤمن بسلطة الكاتب، مادام التناص يتحكم في النصوص الإبداعية، ومادام البحث عن المؤلف بحثا عن الناقد وإغلاقًا لكتابة وإعطاء مدلول نهائي للنص. فالنص لا ينشأ عن " رصف كلمات تولد معنى وحيدًا، ... وإنما هو فضاء متعدد الأبعاد تتمازج فيه كتابات متعددة وتتعارض، من غير أن يكون فيها ما هو أكثر من غيره أصالة: النص نسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة. إن الكاتب لا يمكنه إلا أن يقلد فعلاً هو دومًا متقدم عليه، دون أن يكون ذلك الفعل أصليًا على الإطلاق".

إن بارت كان يؤكد أن" ميلاد القارئ رهين بموت المؤلف" والبحث عن المؤلف هو قتل للنص واغتيال للذته، وتعدد دلالاته، وتحنيط قسري لوظيفته الجمالية. فعندما يبتعد المؤلف ويحتجب، فإن الزعم بالتنقيب عن " أسرار النص يغدو أمرًا غير ذي جدوى، ذلك بأن نسبة النص إلى مؤلف معناها إيقاف النص وحصره وإعطاؤه مدلولاً نهائيًا. إنها إغلاق الكتابة. وهذا التصور يلائم النقد أشد ملاءمة، إذ إن النقد يأخذ على عاتقه حينئذ الكشف عن المؤلف (أو حوامله من مجتمع وتاريخ ونفس وحرية) من وراء العمل الأدبي. وبالعثور على المؤلف، يكون

النص قد وجد تفسيره، والناقد ضالته. فلا غرابة إذن أن تكون سيادة المؤلف من الناحية التاريخية هي سيادة الناقد. كما لا غرابة أن يصبح النقد اليوم (حتى ولو كان جديدًا) موضع خلخلة مثل المؤلف. فالكتابة المتعددة لا تتطلب إلا الفرز والتوضيح، وليس فيها تنقيب عن الأسرار. إدراك حقيقة النص ومعرفة ومداراته الدلالية حاول "بارت" حصرها في:

أ- النص كتابةً.
ب- ب- النص تناصاً.

ج- النص إيحاءً.

د- النص لذة

ويقوم موت المؤلف عند بارت يسمح بإدراك النص في تناصه، ويفسح المجال لتموضع القارئ، إذ إن مولد القارئ يجب أن يدفع ثمنه انسحاب المؤلف.

ب- التحليل المحايث: والمقصود بالتحليل المحايث أن النص لا ينظر إليه إلا في ذاته مفصولًا عن أي شيء يوجد خارجه. والمحايثة بهذا المعنى هي عزل النص والتخلص من كل السياقات المحيطة به. فالمعنى ينتجه نص مستقل بذاته ويمتلك دلالاته في انفصال عن أي شيء آخر.

البنيوية حركة منهجية تحلل الظواهر اللغوية وفقا لمبادئ علم اللغة وتهتم بالبنى وما تحمله من ترابط داخلي بحثا عن نسق لغوي يربط بين تلك البنى وإبراز الفوارق والاختلافات بينها لإظهار صور من التضاد أو الثنائيات الناجمة عن تضاد ظاهر بين اللغة والكلام، فالنص عند أصحاب البنيوية يشكل هذا التضاد أي التنازع بين الكلام واللغة.